الفصل السابع

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلوك الأخلاقي لأبناء المجتمع السعودي

* مدخل .
* المبحث الأول: الاتباع والدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
* المبحث الثاني: أسس السلوك الأخلاقي وفق منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
* المبحث الثالث: آثار عدم الالتزام والتهاون في اتباع منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل السابع

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلوك الأخلاقي لأبناء المجتمع السعودي

مدخل:

يهتم الإسلام بالفرد في نمائه للمدى الذي يمكنه من التعامل في حياته الاجتماعية بالصورة السوية الشرعية، كما يهتم بالجماعة والتي هي في ذات الوقت مجموع أفراد المجتمع. وفي هذا ما يؤكد المنهج الإسلامي في شرائعه ونظمه وتعاليمه، والمعاملات التي تحدد السلوك الفردي والجماعي من أجل مجتمع متماسك يعتصم فيه الأفراد بحبل الله المتين.

إن الإسلام هو مصدر الأخلاق التي تحدد الحلال والحرام، وما يلزم ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وحيث من المسلّم به أن الفرد المسلم لا يُعد مسؤولاً عن ذاته وحدها، بل إنه مسئول عن جماعة المسلمين يتعاون معهم ويتراحم ويتعاطف، ويرشد ويوجه الناس إلى الحق والخير. ومن خير ما يُعين أبناء الأمة الإسلامية في اتباع هذا النهج الاقتداء بالأسوة الحسنة بالرسول عليه أفضل صلاة وتسليم، والذي جاء في ذكره في كتاب الله العزيز:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١]

وقد بلَّغ الرسول عليه الصلاة والسلام ما أنزل إليه، حيث جاء في الذكر الحكيم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

والاقتداء هو منهج متبع في التنشئة الاجتماعية، وهو يمثل الالتزام في السلوك، وهو في النهج الإسلامي السلوك القويم الذي يقوم على اقتضاء الصراط المستقيم، باتباع رسول الله، والذي يكتسب من خلاله العبد محبة الله تعالى.

يقول الحق تبارك وتعالى في الاقتداء والاتباع للنبي ﷺ ما يفيد محبة العبد لربه سبحانه وتعالى عندما يتبع الهدي النبوي: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

والمنهج الإسلامي واضح، فإن البحث في أحكام الحياة ومواقفها، ومن جهة المشكلات الحياتية وحلولها يتماشى مع ما جاء به النبي ﷺ مما أوحى إليه، ومما تحكمه الشريعة الغراء، في قناعة الإنسان ورضاه وتسليمه في سلوكه وأقواله وأفعاله لله تعالى ولرسوله: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ولما كانت المملكة العربية السعودية تولي مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل الاهتمام في مناحٍ كثيرة من الحياة الاجتماعية، فإنه يتعين علينا أن نحدد الأحكام والمبادئ التي يلتزم بها الأفراد والجماعات في المجتمع السعودي نحو الهدى والحق في العبادات والمعاملات.

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية :

١- المبحث الأول : الاتباع والدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢- المبحث الثاني : أسس السلوك الأخلاقي وفق منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٣- المبحث الثالث : آثار عدم الالتزام والتهاون في اتباع منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبحث الأول

الاتباع والدعوة

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تمهيد:

في التزام الأفراد لاقتضاء الصراط المستقيم في مواقف الحياة المختلفة أمر الله تعالى النبي الهادي البشير والذي أرسله رحمة للعالمين، أن ينفذ مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فهو ﷺ ذو خلق عظيم، وهو الأسوة الحسنة، وهو خير متبع وداع ومطبق لأحكام الله تعالى.

لقد أمره الله تعالى أن يعفو عمن ظلمه[1]، ويأمر بالمعروف ولا يتبع نهج الجاهلين، ولا يترك لهم فرص تعطيله عن السير نحو الهدي والحق الذي أمر الله به: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

اتباع نهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يشير القرآن الكريم إلى أفضلية الذين يتبعون نهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو المبدأ الذي يتبعه المسلمون المؤمنون بدين الحق، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) عبداللطيف محمد العبد: الأخلاق في الإسلام، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ص ٢١٦-٢٢٦.

فالإسلام هو الدين القويم لكل الناس؛ لأنه ملائم لما يصلح أحوالهم، يقول ابن تيمية:

«وكل بشر على وجه الأرض، لا بد له من أمر ونهي، ولا بد أن يأمر وينهى، حتى لو أنه وحده، لكان يأمر نفسه وينهاها، إما بمعروف وإما بمنكر»(١).

ويوجب الإسلام على اتباعه أن تضطلع طائفة منهم بإشاعة الحق والخير والفضائل بين الناس، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا هو طريق الاستقامة والسلوك القويم لمن يسلك هذا الطريق دون سواه.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والمسلم مطالب بالرجوع إلى سنة رسول الله ﷺ عندما يواجه موقفاً أو مشكلة معينة، تنفيذاً لقول الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩] أي ردوه إلى كتاب الله العزيز والسنة النبوية المطهرة.

إن الدعاة الذين يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هم جماعة رائدة تدعو إلى الخير والإحسان والبر، وهم يقومون بتوجيه وإرشاد الناس إلى المنهج الرباني. وحيث إنهم في منصب الإمامة والريادة، فإنهم يعدون

(١) ابن تيمية: الحسبة ومسؤولية الحكومات الإسلامية، القاهرة، دار الإسلام، ١٩٧٣م، ص ١١٥.

من الصالحين الذين يترفعون عن عرض الدنيا:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسيلة لنشر الحق، والدعوة إليه، ومن ثم لا بد من التعاون بين الأفراد على البر والتقوى.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]

وتتم المعاونة بالالتزام من قبل الأفراد والمسؤولية التي يقوم بها كل فرد، حيث تجمع القلوب التي يكرمها الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]

وتتم الدعوة بالتوجيه والإرشاد إلى الخير وتأكيد النهي عن الشر، وحيث يكون الأسلوب المتبع قائماً على اللين والتسامح والإقناع.

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

والمجادلة تتم عن طريق عدم الإطالة في الخطبة أو الكلام إلى الناس، حتى لا يعرضوا ويملوا الموعظة. والسلف الصالح كانوا قدوة طيبة حيث كانوا يختصرون الأمور، ولا تزيد الخطبة عن دقائق معدودة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أمر الله تعالى، يتم بالنصح، ولا بد أن تتوفر فيه شروط حتى يتبع الناس نصحه، والناصح الكريم يتفضل بالخير

والبر، وهذا من فضائل الأنبياء وسماتهم الأخلاقية. قال تعالى عن نوح: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢] وقال تعالى عن هود: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

من هذا يتبين أن الإسلام لم يأت لإسعاد الفرد وتوافقه في حياته الاجتماعية بصفته الفردية، وكأنه يعيش بمفرده ولا اتصال بينه وبين الناس، بل جاء الإسلام للناس كافة، ودعاهم للاعتصام بحبل الله المتين، بل قرر الأخوة بينهم، وأنه يجب أن يعمل بعضهم لخير بعض، بل إن الفضل والخير العام هو غاية أفعال الناس جميعهم[1].

(١) محمد يوسف موسى: فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية، القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، ط٢، ص٥٥.

المبحث الثاني

أسس السلوك الأخلاقي

وفق منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تمهيد:

كيف يتبع الناس أفراداً وجماعات منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وكيف يتم التناصح والإرشاد والتوجيه بين الناس عند الدعوة لاتباع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟.

إن السنة النبوية الشريفة التي تتمثل في أقوال وأفعال من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين والذي هو الأسوة الحسنة التي علينا طاعتها «من يطع الرسول فقد أطاع الله». . هذه السنة المباركة تزخر بفيض من فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هي أساس قويم للسلوك الإنساني في أسمى مراتبه، حيث إنها أساس النهج الإلهي الكريم، ولا تستقيم أمور الحياة الاجتماعية والتعامل بين الأفراد بدونها.

الإرشاد والتوجيه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يُقرر الإسلام أنه من أرشد ووجه إنساناً إلى الحق وطريق الصواب فاهتدى بسببه، أكرمه الله تعالى ومنحه ثواب من اهتدى.

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» [أخرجه مسلم].

ويقول ﷺ: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم». [أخرجه الشيخان].

فمن هدى إلى خير فله أجر كبير، ومن دعا إلى شر وضلال كان إثمه كبير.

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». [أخرجه مسلم].

وإن الدعوة الدائمة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تؤتي ثمارها، من حيث تذكير الناس بأمور دينهم في كل سلوك وتصرف يقومون به.

وقد ثبت أن الجرائم بمختلف أنواعها تقل في شهر رمضان - شهر الصوم- نظراً لحرص المسلمين فيه على التمسك بالدين[1].

ومن هذا يتبين أن الإسلام يُعمل به من أجل مصلحة الجماعة، فهو دين اجتماعي يثيب من يعين غيره على السلوك القويم، ليعيش الناس في أمن وأمان وسلام.

وبمقارنة المذاهب البشرية وما يحدث فيها من تداع لمذهب وراء آخر، نجد أن الإسلام باق إلى يوم تقوم الساعة.

(١) أحمد محمد جمال: محاضرات في الثقافة الإسلامية، القاهرة، مؤسسة دار الشعب، الطبعة الثالثة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ١٢٩.

فالمسلم الذي يقتضي الصراط المستقيم يكافئه الله تعالى، حيث يعمل على توجيه وإرشاد الناس إلى الخير، فيتبع خطاه الآخرون، مع التقيد بالشرع في هذا السلوك. فالله تعالى يجازي من يفتح باب الخير بالخير، ويجازي من يفتح باب الشر شر الجزاء:

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». [أخرجه مسلم].

والتعامل مع الذات لا يكون بإرهاق النفس وتكليفها بأكثر مما يرد في الشرع من أمر أو نهي. كما أن المسلم ينبغي له أيضاً ألا يشق على الناس من حوله، فيحملهم ما لا يطيقون.

فالمأمورات في الإسلام، يقوم الإنسان بتحملها وتنفيذها حسب قدرته. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «دعوني ما تركتكم: إنما أهلك من كان قبلكم، كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإن أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» [أخرجه الشيخان].

ومن دلائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنه ليس هناك من يكبر على التوجيه والنصح في الإسلام مهما كانت مكانته. كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل الإخلاص والمودة والمحبة ودليل الإيمان.

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [أخرجه الشيخان].

وليست حياة الإنسان بدون ضوابط تحكمها أو التزامات تضبطها، بل إن الإسلام حين يُعطي للمسلم الحرية، فإنما يقيدها بقيود أهمها حقوق الآخرين، وهذا هو العدل، وإلا تحولت الحياة الاجتماعية إلى فوضى تضيع معها كرامة الفرد والجماعة. والإسلام يكلف المسلم بتغيير المنكر الذي يراه، بوسائل يستطيع القيام بها، باليد أو اللسان أو القلب. والحكمة في ذلك عموم الخير، ونشر البر والتقوى بين الناس جميعاً.

«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». [أخرجه مسلم].

هذا بعض ما يجب أن يلتزم به المسلم من قيم أخلاقية. ولكن ما آثار عدم الالتزام والتهاون في اتباع منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ هذا ما نوضحه في المبحث التالي.

المبحث الثالث

آثار عدم الالتزام والتهاون

في اتباع منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تمهيد:

إن السلوك الأخلاقي في أجلّ مراتبه يهتم بالفرد قبل المجتمع، حيث يعمل على تنظيم السلوك والالتزام بضوابط الأخلاق؛ حتى تستقيم أحوال الفرد في الدنيا، ويتمتع بما سعى أيضاً في الحياة الأخرى. والسلوك الأخلاقي عند اهتمامه بالفرد في المرتبة الأولى، يكون في مثاره اتسام الفرد بالخلق القويم، وفي هذا ما يعود بالنفع على كل من الفرد والمجتمع. ومن المعروف أن المجتمع المضطرب، يكون اضطراب واختلال الحياة الاجتماعية فيه نتيجة عدم الالتزام والتهاون بالضوابط الشرعية والاجتماعية، بل إن بعض الأفراد عند تجردهم من مكارم الأخلاق، يعصون الله ولا يستحوا منه تعالى حق الحياء، فيسلكوا ما شاء لهم من سلوك مضطرب، بل تصدر منهم الرذائل والمفاسد في ضروب وأنماط شتي.

التهاون في اتباع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يجب على من يرى المنكر أن يتثبت منه تثبيت قوياً. لا سيما إذا كان من الكفر. ولا يجوز الحكم على صاحبه بالكفر. إلا إذا كان ذلك الكفر ظاهراً واضحاً لا يحتمل التأويل[1].

(١) عبداللطيف محمد العبد: (مرجع سابق)، ص ص ٢٢٠-٢٤٦.

وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام خطورة التهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك عن طريق تمثيل تلك الحال وأهلها بحال قوم ركبوا سفينة معاً، فلا يجوز لقوم منهم أن يتركوا الآخرين يخرقون السفينة من أسفلها، من أجل الحصول على ماء، ففي ذلك هلاك الأسفل والأعلى.

ومن هذا المنطلق لم يغفل السلف الصالح عن هذا المبدأ العظيم، فلقد ظهر في أمة الإسلام منذ أمد بعيد «الحسبة» التي هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله[1]. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُشرف بنفسه على ذلك، وضرب حمالاً لأنه حمل على دابته أكثر مما تطيق.

ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حال عدم اتباع هذا المنهج، تغليظ عقوبة من يقوم بهذا المبدأ، ثم يكون من المخالفين له عند التطبيق.

وقد أنكر القرآن الكريم على من يفعلون ذلك أشد الإنكار، حيث بين أن هذا فوق منافاته للشرع، هو مناف أيضاً للعقل، وأنه من العظائم التي تغضب الله عز وجل.

قال تعالى مخبراً عن شعيب عليه السلام، حيث استنكر على نفسه أن

(١) إبراهيم العدوي: النظم الإسلامية، مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الإسلام والعصر الأموي، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٢٩٧.

يخالف أمراً نهى الآخرين عنه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

الطابع الأخلاقي الإسلامي القويم:

إن ما سبق إيضاحه هو ما يمثل الطابع الأخلاقي الإسلامي القويم. وهو المنهج الذي تحرص كل الأجهزة في المملكة العربية السعودية على تطبيقه، بل إنها أعدت لذلك هيئة مسؤولة تسعى دائماً جاهدة إلى مراقبة تنفيذ هذا المنهج الرباني الذي يُعد منهجاً لكل البشر إلى يوم الدين.

على أنه لا بد أن نعلم أن الفرد عليه أن يبدأ بنفسه، ثم يتعاون مع الناس من حوله على البر والتقوى، ويكشف مواطن الاضطراب والانحراف والخلل في كل موقع، مع اتباع المنهج الوقائي أولاً القائم على التناصح والإرشاد والتوجيه داخل الأسرة، وفي المساجد، وفي المؤسسات التعليمية والتربوية والإصلاحية، وفي كل ما يذاع أو ينشر إعلامياً وثقافياً، إضافة إلى المنهج العلاجي عندما يتهاون البعض في اتباع هذا المنهج الرباني القويم.